مشروعٌ لكتابة
المعجم التاريخيّ للاصطلاحات الطِّبِّيَّة

نشأت الحمارنة (*)

تحتوي اللُّغةُ - أيَّةُ لغةٍ - على عددٍ من الألفاظ التي تدُلُّ على أسماء الأمراض. وكُلَّما زاد عددُ هذه الألفاظ في اللُّغة كان ذلك دليلاً على رقيِّ الوعي الطِّبِّيِّ عند هذا الشَّعب الناطق بهذه اللُّغة، وعلى اتِّساع معارفه العلميَّة وبخاصَّةٍ الطِّبِّيَّة منها.

وإذا غاب عنا ما يشير إلى مستوى تطوُّر العلوم الطِّبِّيَّة في مرحلةٍ من مراحل حياة أحد الشعوب، فإنَّ العودة إلى مفردات لغةِ هذا الشَّعب في تلك الحِقْبة من الزَّمن يمكن أنْ يكون مُشْعِراً يشير إلى مدى علوِّ هذا المستوى ومقياساً ينبئُ عن حجم المادَّة العلميَّة التي تراكمت نتيجةً لهذا التَّطوُّر.

وفيما يتعلَّق باللُّغة العربيَّة فإنَّنا إذا قمنا بهذا العمل مستعملين كتابَ (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي فإنَّنا نفاجأ بعدد الكلمات التي تحمل معنىً ينمُّ على معرفةٍ طِبِّيَّةٍ دقيقةٍ. ومن المعروف أنَّ هذا الكتاب ظهر في مرحلةٍ تسبق عصر المأمون (حكم بين:٨١٣ - ٨٣٣م = ١٩٨ - ٢١٨هـ)، ومادَّته العلميَّة جُمِعَتْ بعيداً عن مركز الخلافة العبَّاسيَّة حيثُ حصل - في بغداد - الاتِّصال بين العرب والعلماء الذين ينتمون إلى الحضارات القديمة.

(*) طبيب عيون باحث في تاريخ الطب - الأردن.

وإضافةً إلى **عدد الكلمات** الموجودة في هذا المعجم فإنَّ بعض الفقرات تشيرُ أيضاً إلى أنَّ العرب امتلكوا - قبل الإسلام - بعضَ الحقائق الطِّبِّيَّة التي تدُلُّ على **معرفةٍ علميَّةٍ** مُهمَّةٍ، والتي لم تلفت أنظارَ مؤرِّخي الطِّبِّ قبل الآن.

فعلى سبيل المثال نجد في (العين) نصًّا يشرحُ فيه المؤلِّفُ معنى كلمة (الظَّفَرَة): «الظَّفرةُ: جُلَيْدَةٌ تَغْشى العَيْن تَنْبُتُ من تِلْقاءِ المَآقي، ورُبَّما قُطِعَتْ، وإنْ تُرِكَتْ غَشِيَت بَصَرَ العَيْن حتى يَكِلَّ»[(١)].

إنَّ هذا التَّعريف بمعنى الكلمة يدُلُّ على معرفةٍ طِبِّيَّةٍ قديمةٍ توفَّرت للعرب أيام كَتَبَ الخليلُ معجمَهُ، أيّ قبل أنْ تتمَّ الترجمات المعروفة في العصر العبَّاسيِّ في بغداد، ويكفي للتدليل على أهمية هذا التعريف أنْ نقارنَهُ بما كتبه الأطبَّاء عند تأسيس علم العين العربيّ.

يقول ابن سينا (المتوفى عام ١٠٣٦ م = ٤٢٨ هـ) في (القانون): «الظَّفَرَة: هي زيادةٌ من المُلتحمة أو من الحِجاب المحيط بالعين، تبتدئ في أكثر الأمر من المُؤْقِ، وتجري دائماً على الملتحمة، وربَّما غَشِيت القرنيةَ ونفذت عليها حتى تغطي الثَّقبةَ... وهي تنكشط بسرعةٍ وبأدنى تعليق.. وتحتاج إلى سلخٍ حسبما أنت تعلم ذلك»[(٢)].

ويقول عليُّ بن عيسى (المتوفى عام ١٠٣٨ م = ٤٢٩ هـ): في كتابه (تذكِرة الكَحَّالين): «أمَّا الظَّفَرَة فهي زيادةٌ عصبيَّةٌ في الصِّفاق المُلتحم تنبتُ من المَأْق الأكبر وتنبسط قليلاً قليلاً إلى الحِجاب القَرنيّ..... وهي ضارَّةٌ بالعين.. وربَّما امتدَّتْ على الملتحم والقرنيّ حتى تمنعَ البَصَرَ..»[(٣)].

---

(١) العين: (٨/ ١٥٨).

- توفي الخليل صاحب (كتاب العين) حوالي عام (٧٨٩م = ١٧٣هـ).

(٢) القانون: (٢/ ٢١٣).

(٣) تذكِرة الكَحَّالين: (ص١٨٠).

فالخليل يدوِّنُ لنا ما يبرهن على أنَّ المعرفة الطِّبِّيَّة في عصره كانت تصِفُ (الظَّفَرَة) وصفاً سريريًّا مختصراً وتعرِفُ إنذارَها السَّيِّئ، (كَلَل البَصَر) وما يدُلُّ أيضاً على أنَّ العربَ عرفوا معالجتها جراحيًّا كلمة: (قطعت).

والفقرتان اللتان كتبهما عليُّ بن عيسى وابن سينا في بداية القرن الحادي عشر الميلاديين تمثلان قمَّة المعرفة الطِّبِّيَّة في ذلك الوقت وحتى القرن الثامن عشر الميلاديّ، ونستنتج من ذلك أنَّ مثالَ (الظَّفرة) يدُلُّ على أنَّ العرب أيام الخليل كانوا على علمٍ ببعض ما كتبه الإغريق منذ أيامِ (جالينوس) (القرن الثاني الميلاديّ). هذه الحقيقة تفتح أمامنا باباً جديداً للبحث عن مستوى الطِّبِّ عند العرب قبل عصر الترجمة بدليل التراث العربيِّ المكتوب ذلك الزَّمن وعلى رأسه المعجمات اللُّغويَّة، ولنا عودةٌ إلى هذه المسألة المُهمَّة في حقل تاريخ الطِّبِّ العربيِّ.

ثم إنَّ المرضَ إما كان معروفاً للعرب قبل عصر الخليل فوضعوا له اسماً ، أو أنَّهم أخذوا عن إحدى الحضارات المجاورة وصفَ هذا المرض فأعطوه اسماً عربيًّا ، فالتعريف الذي أعطاه الخليل للمصطلح يدُلُّ على معرفةٍ طِبِّيَّةٍ متطوّرةٍ، كما يدُلُّ أيضاً على أنَّه كان يعرف إنذارَه: «... إنْ تُرِكَتْ غَشِيَت بَصَرَ العين حتى يَكِلَّ».

* * *

ومن ناحيةٍ أخرى إذا تأملنا الفروقَ اللُّغوية الدَّقيقة بين بعض الألفاظ المتشابهة في دلالاتها العامَّة فإنَّنا نأخذ فكرةً عن قوَّة الملاحظة عند عامَّة الناس الذين كانوا يستخدمون هذه الألفاظ، فعلى سبيل المثال:

إنَّ كلمة (فالِج) تشير إلى (شَللٍ) يصيب جسمَ الإنسانِ حيث (تسترخي) بعضُ الأعضاءِ وتعدم قدرتَها على الحركة. لكنَّ اصطلاح (الفالِج) الذي يشبه

(الشَّلل) من حيث دلالتُهُ العامَّة يختلف عنه في الحقيقة. فالفالِج شللٌ يصيب أحد شِقِّي الجسم، أيّ إنَّه يصيب نصفَ الجسمِ الأيسرَ أو نصفَهُ الأيمنَ حيث تتعطل حركة الطرفين العلوي والسفلي في ذلك الجزء من الجسم.

وهذا التفريق بين اللَّفظتين يعدُّ تعبيراً واضحاً عن وعي الناس الذين أدركوا الفرقَ بين الحالتين المرضيتين، وهو في حَدِّ ذاته إشارةٌ إلى دِقَّة الملاحظة في مجال المعرفة الطِّبِّيَّة.

وإضافةً إلى ذلك هو دليلٌ على رَغْبَةٍ عامَّةٍ للناس في التَّعبير عن الفرق بين الحالتين، وهو ما يمكن أنْ نَعدَّهُ حالةً متقدِّمةً من الوعي المعرفي.

وكما أنَّ وعي عامَّة الناس هو الذي دفعهم إلى التمييز بين الحالتين، فإنَّ حرصهم على التَّعبير الدَّقيق هو الذي جعلهم يصرُّون على استعمال كلمةٍ معينةٍ في مقابل كلمةٍ أخرى، فكُلُّ كلمةٍ عندهم لها دلالتها الخاصَّة.

والرَّغْبة في التَّعبير الدَّقيق وحدها لا تكفي لاختيار لفظتين لهذا الغرض إذ لا بُدَّ من أنْ تكون اللُّغةُ نفسُها على درجةٍ من الغِنى تسمح لمن يفتش عن لفظةٍ معينةٍ بالعثور عليها. فلولا غنى اللُّغة العربيَّة لقال الناس (الشَّلل النِّصفي) للإشارة إلى (الفالِج) في مقابل (الشَّلل)، وهذا حال بعضِ اللُّغات الأوربيَّة الحديثة التي لا تتمتع بهذا الغنى الذي تتمتع به اللُّغة العربيَّة.

والتفتيش في اللُّغة يستدعي - هو الآخر - مقدرةً معينةً أو موهبةً خاصَّةً عند من يقوم بعملية التفتيش، وهذا مثالٌ على ما نذهب إليه.

الفالِج:

يقول ابن فارس في مقاييس اللُّغة[٤]: « الفاء واللام والجيم أصلانِ

(٤) مقاييس اللُّغة: (٤/ ٤٤٨).
- توفي ابن فارس صاحب معجم (مقاييس اللُّغة) عام (١٠٠٤ م=٣٩٥هـ).

صحيحان، يدُلُّ أحدُهما على فوزٍ وغَلَبة، والآخر على فُرْجَةٍ بين الشَّيئين المتساويين»[٥].

ومن هنا نجد أنَّ معنى (فَلَجْتُ الشَّيْء) هو: قَسَمتُهُ إلى نصفين متساويين.

وكذلك يقول الخليل بن أحمد في (العين)[٦]: «فَلَجْتُ الشَّيْء: قَسَمْتُه».

و(الفِلْجُ) هو نصف الشَّيء[٧].

ويقول ابن فارس[٨]: «قال ابن دُريد: وإنَّما قيل فُلِجَ الرّجلُ لأنَّه ذهب نِصفُه»[٩].

---

(٥) مقاييس اللُّغة: (٤/ ٤٤٩): « الفَلَج في الأسنان: تَباعُدُ ما بين الثَّنايا والرَّباعِيَات... فأمَّا الفَلَج في اليَدينِ فقال أبو عُبيد: الأفلج: الذي اعوجاجُه في يديه،.. ومن الباب: الفالِج: الجَمَل ذو السَّنامَين، وسمِّي للفُرجة بينهما ».

(٦) العين: (٦/ ١٢٧).

- التقفية: (ص٢٣٤): «الفَلْج: مصدر فَلَجَ يَفْلِجُ: إذا قَسم، يُقال: قد فَلَجَ بينهم الشيء إذا قَسَم».

- توفي البندنيجي صاحب معجم (التقفية) عام (٨٩٧ م = ٢٨٤هـ).

(٧) مقاييس اللُّغة: (٤/ ٤٤٩): «.. وكلُّ شيءٍ شَقَقْتَه فقد فَلَجْتَه فَلْجين، أي نصفَين».

- المخصص: (٥/ ٨٣-٨٤): «وقد فُلِج فالجاً مشتَقٌّ من الفِلْج الذي هو نِصف الشيءِ».

- توفي ابن سيده صاحب (المخصص) عام (١٠٦٥م = ٤٥٨هـ).

- لسان العرب: (٢/ ٣٤٦): « فِلْجُ كلِّ شَيءٍ: نِصْفُه ».

- توفي ابن منظور صاحب معجم (لسان العرب) عام (١٣١١ م =٧١١هـ).

(٨) مقاييس اللُّغة: (٤/ ٤٤٩). وينقل هذه العبارة عن ابن دريد. وكذلك الجوهري: الصِّحاح: (١/ ٣٣٥-٣٣٦). وابن منظور: لسان العرب: (٢/ ٣٤٦).

- توفي ابن دريد عام (٩٣٣ م = ٣٢١هـ).

- توفي الجوهري صاحب (الصِّحاح) عام (١٠٠٣ م = ٣٩٣هـ).

(٩) وكذلك: القاموس المحيط: (١/ ٢٠٣): « والفالِجُ اسْتِرْخاءٌ لأَحَدِ شِقَّي البَدَنِ لانْصِبابِ خِلْطٍ بلْغَمِي تَنْسَدُّ منهُ مَسالِكُ الرُّوح ».

- توفي الفيروزآبادي صاحب معجم (القاموس المحيط) عام (١٤١٥م = ٨١٧هـ).

هذه المقدرة اللُّغوية هي التي جعلت أحدَ الناس يلجأ إلى استعمال كلمة (الفالِج) لتشيرَ إلى هذا المرض المعروف، وهذا اجتهادٌ قام به أحدُ الأفرادِ فوجد قبولاً عند الناس، والدَّليل على ذلك هو انتشار هذه الكلمة بمعناها الجديد واشتهارها.

* * *

ولأنَّ اللُّغة العربيَّة غنيةٌ بالألفاظ التي تحمل دلالاتٍ متشابهةً فقد تمكَّن الأطبَّاء من اختيار بعض الألفاظ لكي تكونَ لها دلالةٌ محددةٌ في حقل الطِّبِّ، وهذا ما يسمِّيه بعض الدَّارسين **التَّخصيص**.

والأمثلة كثيرةٌ على (تخصيص) لفظةٍ ما من اللُّغة للدلالة على مرضٍ معين.

ففي اللُّغة – على سبيل المثال – تحمل كلمة (الرِّعْشَة) المعنى نفسَه الذي تحملُهُ كلمةُ (الرِّعْدَة). يقول ابن فارس(١٠): «الراء والعين والشين: الاضطراب والارتعاد»، ومن ذلك: «رجلٌ رَعِشٌ». ويقول الخليل(١١): «الرَّعَشُ: رِعدةٌ تعتري الإنسانَ، ارتعش الرّجلُ، وارتعشت يدُهُ»، «الرُّعاشُ: رِعْشَة تغشَى الإنسان من داءٍ يصيبه»، «ارتعش رأسُ الشيخ».

وقد جاء وقتٌ اختار الأطبَّاء فيه لفظةَ (الرِّعْشَة) لتدُلَّ على المرض الذي يصفونَهُ. ولم يستعملوا كلمة (الرَّعَش) ولا كلمة (الرُّعاش) وهما لفظتان من الجذر نفسه تحملان المعنى نفسه. وهذا الاختيار لا بُدَّ أنْ يكونَ أحدُ الأطبَّاء قد لجأ إليه فلقي قبولاً من أهل الاختصاص واستعملوه فاشتهر.

يقول أهل اللُّغة عن هذا الأمر: إنَّ الأطبَّاء نقلوا اللَّفظة من حقل الاستخدام اللُّغوي العامِّ إلى حقل الاستخدام الخاصِّ. وهنا صارت

(١٠) مقاييس اللُّغة: (٢/ ٤١٢).

(١١) العين: (١/ ٢٥٥).

(الرِّعْشَـة) (اصـطلاحاً)، لقـد جـرَتْ عمليـةُ **تخصـيصٍ** لكلمـة (الرِّعْشـة) فصارت اصطلاحاً طِبِّيًّا.

ومن المعـروف أنَّ (الاصـطلاحَ) كلمـةٌ تحمـلُ فـي اللُّغـة معنـىً معيَّنـاً ولكنَّها تحمل لأهل الاختصاصِ معنىً جديداً قد لا يفهمه عامَّةُ النـاس وقـد يفهمونه. فالاصطلاح كلمةٌ صار لها (دلالةٌ خاصَّةٌ) أيّ (دلالـةٌ جديـدةٌ) فـي حقلٍ من الحقول الخاصَّة.

لقد صارت لفظة (الرِّعْشَة) اصطلاحاً طبِّيًّا أمَّـا لفظـة (الرِّعْـدة)[١٢] فقـد ظلَّتْ على حالها في اللُّغة، علـى الـرُّغم مـن أنَّ اللَّفظتـين تحمـلان المعنـى نفسه، والذي قرَّرَ ذلك هُمْ أهلُ الاختصاصِّ وهم هنا الأطبَّاء.

إنَّ **تخصيصَ** كلمة (الرِّعْشَـة) لتـدُلَّ علـى مـرضٍ معـينٍ يعنـي أنَّ هـذه اللَّفظة وُظِّفَتْ لتصيرَ اصطلاحاً طِبِّيًّا.

أمَّا كلمة (الفالِج) فقد **اسْتُحدِثَت** في اللُّغة لهذا الغرض نفسه.

وما يقال عن (الرِّعْشَة) يقـال عـن (السُّـبات)، فهـذه اللَّفظـةُ تـدُلُّ علـى (النَّوم) الطبيعيِّ[١٣]، أو على (النَّـوم الغالـب الكثيـر)[١٤]، أو علـى نـوعٍ مـن النَّـوم (كالغَشْـية)[١٥]، ....

(١٢) لسان العرب: (٣/ ١٧٩): «الرِّعْدَة: النافض يكون من الفزع وغيره ، وقد أُرْعِدَ فارتَعَدَ».

(١٣) مقاييس اللُّغة: (٣/ ١٢٤): «السين والباء والتاء أصلٌ واحد يدلُّ على راحةٍ وسكون».

- لسان العرب: (٢/ ٣٧): «السَّبْتُ: الراحـةُ. وسَـبَتَ يَسْـبُتُ سَـبْتاً: اسْـتَراح وسَـكَنَ... والسُّبات: النَّومُ، وأصْلُه الراحةُ..».

(١٤) العين: (٧/ ٢٣٨ – ٢٣٩): «والسُّبَات: النُّومُ الغالب الكثير».

(١٥) العين: (٧/ ٢٣٨ – ٢٣٩): «.. والمريض يَسْبُتُ سَبْتاً فهو مسبوت، والسُّبَاتُ مـن النـوم شِبْهُ غَشْيَةٍ».

- لسان العرب: (٢/ ٣٧): «.. والسُّباتُ: نوم خَفِـيّ، كالغَشْـيَةِ، وقـال ثعلـب: السُّـباتُ: ابتداء النوم في الرأس حتى يبلغ القلب». =

لكنَّها تدُلُّ أيضاً على (مَرَض)[١٦].

وهذا التَّشابه الذي رأيناه بين لفظتي (الرِّعْشَة) و(الرِّعْدة) نشاهده في حالاتٍ كثيرةٍ ومنها على سبيل المثال: (البَثْرة) و(الخُراج) وكذلك (الجَسَأ) و(الصَّلابة). وفي حالاتٍ أخرى كثيرةٍ يكون التَّشابه في المعنى بين كلمتين مشتقتين من الجذر نفسه كما شاهدنا في (الرِّعْشة) و(الرَّعش) و(الرُّعاش).

فعلى سبيل المثال استعمل الأطبَّاء لفظتي (الحِكَّة) و(الحُكاك) كما استعملوا لفظتي(النُّفَّاخ) و(الانْتفاخ).

ولم يكن الأطباء متفقينَ دائماً في اختيارهم للاصطلاح المطلوب ونعطي هنا مثالاً على ذلك: (الكشكريُّ) في كتابه (الكُنَّاش في الطِّبِّ) (ظهر كتابه بين عامي: ٩٢٢ - ٩٣٢م). يعطفُ اصطلاحَ (التَّشنُّج) على اصطلاح (الكُزاز) على حين يعطف ابنُ سينا اصطلاحَ (التَّمدُّد) على اصطلاحِ (الكُزاز). والأمثلة عديدةٌ فهناك من جعلَ اصطلاحَ (الاسْترخاء) مرادفاً (للاتِّساع) وهناك من جعله مرادفاً (للانبساط).

أمَّا المثال الأشهر الذي لفتَ الأنظارَ إليه (مايرهوفُ) و(بروفرُ) فهو أنَّ حنينَ بن إسحاق اختار لفظة (الجليدية) اسماً لبِلَّورة العين (العَدَسة) ذلك أنَّ الإغريق شبَّهوها بالجليد في الوقت نفسه الذي اختار فيه يوحنا بن ماسويه لفظةَ (البَرَدية) لأنَّ الإغريق شبَّهوها بحبَّة البَرَد. وفي الحالتين فإنَّ وجهَ الشَّبه هو جمودُ هذه الرُّطوبة وشفوفها. ونلاحظ هنا أنَّ حُنيناً تمسَّكَ بالاصطلاح الذي وضعه، على حين استعمل (ابنُ ماسويه) الاصطلاحين

= - توفي ثعلب عام (٢٩١ هـ =٩١٤ م).

(١٦) لسان العرب: (٢/ ٣٧): «..الذي لا يَتَحرَّكُ، وقد أَسْبَتَ، ويقال: سُبِتَ المريضُ، فهو مَسْبُوت. والمَسْبُوتُ: المَيِّتُ والمَغْشِيُّ عليه، وكذلك العليل إذا كان ملقىً كالنائم يُغَمِّضُ عينيه في أكثر أحواله، مَسْبُوتٌ».

ولـم يُبْدِ حماسةً لأحدهما على حساب الآخر.

ونؤكِّدُ هنا أنَّ المعنى الذي يحملُهُ الاصطلاحُ في اللُّغة اليونانيَّة عنـد الأطبَّـاء الإغريق هو الذي أوحى للأطبَّاء العرب بانتقاء الاصطلاح العربيِّ واعتماده.

* * *

وثمَّةَ كلماتٌ في اللُّغة لها دلالةٌ واضحةٌ على مرضٍ من الأمـراض وقـد تكون هذه الدلالة المعنى الوحيد الذي تحمله اللَّفظة والمثال على ذلك هـو كلمة (الحَوَل)(١٧). وقد يكون للَّفظة أكثر من معنىً، أحدُ هذه المعـاني يـدُلُّ على مرضٍ والمثال على ذلك كلمة (اللَّقْوة)(١٨)، فللَّقوة أكثر مـن دلالـةٍ فـي اللُّغة، أحدُ هذه الدلالات هو اسمٌ لمرضٍ يصيبُ الوجهَ.

فالحَوَل في أساس اللُّغة يـدُلُّ علـى مـرضٍ ولا يـدُلُّ علـى معنـىً آخـر، واللَّقوة في أساس اللُّغة تدُلُّ على مرضٍ لكنَّها تدُلُّ على معنىً آخر والأطبَّـاء يفهمون من اللَّقْـوة معناهـا الطِّبِّيّ، وهـم لـم يختـاروا هـذه اللَّفظـة لتصبحَ اصطلاحاً طِبِّيًّا، بل إنَّها تحمل المعنى الاصطلاحيَّ في أساس اللُّغة.

---

(١٧) العين: (٣/ ٢٩٩): «والحَوَلُ: إقبالُ الحَدَقَةِ على الأنف. حَوِلَتْ تَحْوَل. وإذا كان الحول يَحْدُث ويَذْهَبُ قيل: احْوَلَّتْ عينه احوِلالاً، واحْوالَّت احويلالاً».

القاموس المحيط: (٣/ ٣٦٤): «والحَوَلُ محرَّكةً ظُهورُ البَياضِ فـي مُـؤْخِرِ العـينِ ويكونُ السَّوادُ من قِبَلِ المـأقِ، أو إقْبـالُ الحَدَقَـةِ علـى الأَنْـفِ، أو ذَهـابُ حَـدَقَتِها قِبَـلَ مُؤْخِرِها، أو أن تكونَ العَيْنُ كأنما تَنْظُرُ إلى الحِجَاجِ، أو أن تَميلَ الحَدَقـةُ إلـى اللِّحَـاظِ. وقد حَوِلَتْ وحالَتْ تَحالُ واحْوَلَّتِ احْوِلالاً. ورجُلٌ أحْوَلُ وحَوِلٌ. وأحالَ عَيْنَه وحَوَّلَها صَيَّرَها حَوْلاءُ».

(١٨) العين: (٥/ ٢١٢): «اللَّقْوةُ داءٌ يأخُذُ في الوجْه يَعْـوَجُّ منـه الشِّـدْقُ... واللَّقْـوة واللِّقْـوةُ: العُقابُ السريعةُ السَّيْر».

القاموس المحيط: (٤/ ٣٨٦): « اللَّقْوَةُ: داءٌ في الوجه..

واللَّقْوَةُ ويُكْسَرُ: المرأةُ السَّريعَة اللِّقاحِ كالناقةِ، والعُقابُ الأُنثى، أو الخفيفةُ السَّريعةُ».

فالاصطلاحات الطِّبِّيَّة التي نجدها في اللُّغةِ العربيَّة منذ الأيام الأولى لهذه اللُّغة كانت بمتناول الأطبَّاء فاستعملوها وصارت في عهد التدوين اصطلاحاً فنيًّا، فالأطبَّاء **اختاروا** بعضَها كما في مثال (الرِّعْشة) **وخصَّصوا** بعضها ليحمل الدلالة المرجوّة في مجال الطِّبِّ كما في كلمة (السُّبات) لكنَّ الأطبَّاء **استَحدثوا** بعضَ الألفاظ بغرض أنْ يجعلوها اصطلاحاً كما في (الفالِج).

ومن الكلمات التي استُحدِثت في اللُّغة لتدُلَّ على اسم مرضٍ كلمتا (الصُّداع) و(الشَّقيقة) شأنهما في ذلك شأن كلمة (الفالِج).

فكلمة (صُداع) جاءت من الجذر الثلاثي (ص د ع) لتشير إلى اصطلاحٍ فنيٍّ(١٩) في اللُّغة معناه (ألمٌ في الرأس)(٢٠).

وكلمة (الشَّقيقة) جاءت من الجذر الثلاثي (ش ق ق) لتدُلَّ على شكلٍ

---

(١٩) Terminus Technicus.

(٢٠) العين: (١/ ٢٩٢): «الصُّداع: وجعُ الرأس».

- تاج العروس: (٢١/ ٣٢٦): «.. والصُّدَاع كغُرَاب: وَجَعُ الرَّأْسِ، كما في الصّحاحِ، وقالَ الرّاغِبُ: هو شِبْهُ الانْشِقَاقِ في الرَّأْسِ من الوَجَعِ، مُسْتَعَارٌ من الصَّدْعِ، بمعنى الشَّقِّ في الحَائِطِ وغَيْرِهِ».
- أتمَّ المرتضى الزبيدي معجمه (تاج العروس) عام (١١٨٠هـ) وتوفي الزبيدي عام (١٧٩٠م = ١٢٠٥هـ).
- توفي الراغب الأصفهاني عام (١١٠٨م = ٥٠٢هـ).
- التنوير: (تحقيق: الكرمي: ص ٥١)، (تحقيق: تقي الدين: ص- ١٥)، (تحقيق: نشأت الحمارنة: ص٤٩٥): «الصُّداع: وجع الرأس كلِّه».
- التنوير في الاصطلاحات الطبية (للحسن بن نوح القمري): (المتوفى عام ٩٩٩م = ٣٩٠هـ).
- قاموس الأطباء: المخطوط: (١/ ٢٥٩): «الصداع كغراب: ألم في أعضاء الرأس في أيها كان، والمراد بهذه الأعضاء ما عدا العظم وجوهر الدماغ..».
- توفي مَدين بن عبد الرَّحمن القوصونيّ المصريّ: صاحب: (قاموس الأطبَّاء وناموس الألبَّاء): (بعد١٦٣٤م= ١٠٤٤هـ).

معينٍ من أشكال (الصُّداع) ينحصر الوَجَع فيه في (جانب) الرَّأس أيّ في (نصف الرَّأس) أيّ في (شِقِّ الرَّأس)(٢١).

زمن ظهور الاصطلاح:

إنَّ الألفاظ الطِّبِّيَّة التي نجدها في معجم (العين) تتأكَّد أصالتها حينما يشيرُ ابنُ فارس في (مقاييس اللُّغة) إلى أصالة المعنى الذي تحمله في جذرها الثلاثي.

فعلى سبيل المثال: الشَّتَر: **الخليل: « الشَّتر: انقلابٌ في جَفْنِ العَينِ الأَسفل قلَّما يكونُ خِلْقةً.**

والشَّتْر، بجزم التّاء: فِعْلُك بها. والنَّعْتُ: أَشْتَرُ وشَتْراءُ. وقد شَتِرَ يَشْتَرُ شَتَراً»(٢٢).

ابن فارس: « شتر: الشين والتاء والراء يدُلُّ على خرقٍ في شيء. من

(٢١) العين: (٥/ ٨): «الشَّقيقةُ: وَجَعُ نِصْفِ الرَّأْسِ».

- تاج العروس: (٢٥/ ٥١١ ←٥١٩): « الشِّقُّ: الجانِبُ وجانِبَا الشَّيءِ: شِقّاهُ،..
الشِّقُّ من كُلِّ شيءٍ: نِصْفُه إذا شُقَّ..
الشَّقِيقَةُ: وَجَعٌ يَأْخُذُ نِصفَ الرَّأْسِ والوَجْهِ كما في الصِّحاحِ، وفي التَّهذيبِ صُداعٌ بَدَلَ وَجَعٍ. وقال ابن الأَثير: هو نَوْعٌ من صُداعٍ يَعْرِضُ في مُقَدَّمِ الرَّأسِ، وإلى جانِبَيْهِ ومنه الحديث: «احْتَجَمَ وهو مُحْرِمٌ من شَقِيقَةٍ»».

- توفي ابن الأثير عام (١٢١٠ م = ٦٠٦هـ).

- توفي الأزهري صاحب (تهذيب اللُّغة) عام (٩٨٠م = ٣٧٠هـ).

- التنوير: (تحقيق: الكرمي: ص٥٠)، (تحقيق: تقي الدين: ص ١٤)، (تحقيق: نشأت الحمارنة: ص ٤٩٦): «الشقيقة: وجع أحد شقِّيه».

- قاموس الأطباء: المخطوط: (١/ ٢٥٩): «إذا كان الصُّداع في أحد شِقَّي الرَّأس معتاداً لازماً فإنَّه يسمَّى شَقيقة». (١/ ٣٠٤): «الشَّقيقة: وجعٌ يأخذ في أحد شِقَّي الرَّأس ويهيجُ بأدوارٍ غالباً هيجاناً شديداً».

(٢٢) العين: (٦/ ٢٤٥).

ذلك الشَّتَر في العين: انقلابٌ في جفنها الأسفل مع خرقٍ يكون»(٢٣).

لكنَّ مجرد وجود هذه الألفاظ في هذين المعجمين لا يشير إلى تاريخ استعمالها في اللُّغة العربيَّة أول مرَّةٍ، وإنْ كانت بعض المؤشرات يمكن أنْ تساعدَ أهل الاختصاصِ في تعرُّف هذا التاريخ كأنْ تكون اللَّفظةُ موجودةً في القرآن الكريم أو في الحديث الشَّريف أو في الشِّعر الجاهليِّ.

ونحن هنا بصدد محاولةِ البحثِ عن تاريخ ظهور الألفاظ التي استُحْدِثت في اللُّغة والتي لم تكن موجودةً أيام الخليل، وهذه الألفاظ جاءت نتيجةً لتعرُّفِ العرب بالطِّبِّ السُّريانيِّ والفارسيِّ أولاً والطِّبِّ الإغريقيِّ ثانياً، وسنحاول أنْ نقتصرَ في بحثنا على هذه الحدود، أيّ على الزَّمن الذي بدأ فيه العربُ بالأخذ عن السُّريان والفرس نتيجةً للعيش المشترك.

في المرحلة الأولى تعرَّفَ العربُ الطِّب السُّرياني في الشام والعراق والطِّب الفارسي في العراق وجُنْدِيْسَابور، وتعرَّفوا بطبيعة الحال أسماءَ بعض الأمراض بالسُّريانيَّة أو الفارسيَّة. وقد جرى كُلُّ ذلك نتيجةً للعيش المشترك مع السُّريان والفرس لقرونٍ عديدةٍ. أمَّا في المرحلة الثانية فقد جرت محاولاتٌ لترجمة الطِّبِّ من السُّريانيَّة إلى العربيَّة في العصر الأمويّ، ومن السُّريانيَّة أو الإغريقيَّة إلى العربيَّة في العصر العبَّاسيِّ وقد واجه التراجمةُ أو الأطبَّاءُ مُهمَّةً جديدةً هي اختيار الاصطلاح العربيِّ المناسب في مقابل الاصطلاح الطِّبِّيِّ الأعجميّ.

فثمَّةَ معانٍ يحملها الاصطلاح الأعجميُّ فهمها المترجمون وبحثوا في اللُّغة عن لفظةٍ تحمل المعنى نفسَه وتعطي الدلالة الاصطلاحيَّة للكلمة الأعجميَّة بدقَّةٍ.

في بعض الأحيان وجدوا هذه اللَّفظةَ العربيَّةَ بسهولةٍ، ولكنَّهم في

---

(٢٣) مقاييس اللُّغة: (٣/ ٢٤٤).

أحيانٍ أخرى اضطروا إلى استحداث كلمةٍ عربيَّةٍ جديدةٍ، ونادراً ما اضطروا إلى اقتراض لفظةٍ أجنبيةٍ وتعريبها.

المثال على الحالة الأولى هو الكلمات التي اختارها حنين بن إسحاق لتقابل كلماتٍ يونانيَّةً وتحمل معناها بدقَّةٍ ومنها كلمتا (التَّشنُّج) و(الاسْترخاء).

ومنها أيضاً اصطلاح (الشَّعِيرة) التي اختيرت لتكون اصطلاحاً طِبِّيًّا يقابل الاصطلاحَ اليونانيَّ الذي يحمل معنى (حبَّة الشَّعير)، وهو اسم مرضٍ يصيب حافَة الجفن وصفه الأطبَّاءُ الإغريقُ بأنَّه (ورمٌ مستطيلٌ يشبه في شكلِهِ حبَّةَ الشَّعير).

إنَّ كلمة (الشَّعِيرة) لا تحمل في اللُّغة العربيَّة دلالةً طِبِّيَّة فاللُّغة العربيَّة القديمة لا يوجد فيها اسمٌ لهذا الوَرَم المستطيل الذي يظهر على حافَة الجفن، والذين أعطوا لهذا المرض اسم (الشَّعِيرة) هم الإغريقُ وذلك لأنَّه يشبه (الشَّعِيرة) في شكله. وبوحيٍ من الإغريق وافق الأطبَّاءُ العرب على اختيار هذا الاسم (الشَّعِيرة) لهذا الوَرَم. لقد ترجموا الاسمَ الإغريقيَّ ترجمةً مباشرةً لأنَّ هذه الترجمة تحافظ على اجتهاد الأطبَّاء الإغريق.

وفي بعض الحالات التي وافق الأطبَّاءُ العربُ الأطبَّاءَ الإغريق على اختيار اسمٍ معيّنٍ ليكون اصطلاحاً فنيًّا، كان من السهل عليهم العثورُ على لفظةٍ عربيَّةٍ، لكنَّهم في أحيانٍ أخرى اضطروا لاستحداث كلمةٍ عربيَّةٍ جديدةٍ فاللُّغة العربيَّة لا يوجد فيها كلمةٌ واحدةٌ تدُلُّ على (حبَّة البَرَد) فاضطرُّوا إلى استحداثِ كلمةِ (البَرَدة) لكي تعني (حبَّة البَرَد) ذلك أنَّ الأطبَّاء الإغريق شبَّهوا أحدَ أورام باطن الجفن (بحبَّة البَرَد)، وَوَجْهُ الشَّبَهِ بين (حبَّة البَرَد) وهذا الوَرَم هو الحجمُ و(الاستدارة)(٢٤)، ولأنَّ الأطبَّاءَ العربَ وافقوا على

(٢٤) قاموس الأطبَّاء/ المخطوط: (١/ ١٢٥): « البرد.. بالتحريك حب الغمام.. =

هذا التَّشبيه الذي لجأ إليه الإغريق فإنَّهم اضطرُّوا إلى استحداث كلمة (البَرَدة) ولم يميلوا إلى استعمال لفظتين للمعنى نفسِهِ (حبَّة البَرَد). (البَرَدة) إذن لفظة لم تكن موجودةً في المعجمات العربيَّة القديمة ولا في أصل اللُّغة وقد **استَحدثَها** الأطبَّاءُ كما رأينا، أمَّا (الشَّعِيرةُ) فكانت موجودةً في اللُّغة **واختارها** الأطبَّاءُ وأعطوها معنىً اصطلاحيًّا في حقل الطِّبِّ(٢٥).

= والبردة أيضاً من أمراض العين. وهي: رطوبة تغلظ وتَتَحَجَّر في باطن الجفن وتكون إلى البياض، شبيهة بالبردة...».

- كشاف اصطلاحات الفنون: (١/ ١٥٦): «البَرَدَة: بالفتحتين رطوبة تغلظ وتتحجر في باطن الجفن، يكون مائلاً إلى البياض يشبه البردة في الشكل والصلابة ولذا سميت بها».

- توفي التهانوي صاحب (كشاف اصطلاحات الفنون) عام (بعد ١٧٤٥م= ١١٥٨هـ).

(٢٥) العين: (١/ ٢٥١ – ٢٥): « والشعيرة حديدة أو فضَّة تُجْعَلُ مِساكاً لنصل السِّكِّين في النِّصابِ حيثُ يُركَّبُ.

والشَّعاريرُ: صِغارُ القِثَّاء ، الواحدة شُعْرورَة وشُعْرور.

والشَّعِيرَةُ من الحُلِيّ تتّخذ من فضَّة أو ذهب أمثال الشعير ».

- مقاييس اللُّغة: (٣/ ١٩٣): « شعر: الشين والعين والراء أصلان معروفان ، يدلُّ أحدهما على ثَباتٍ ، والآخر على عِلْمٍ وعَلَم.

فالأوّل الشَّعْر والشَّعَر: معروف، والجمع أشعار، وهو جمع جمعٍ، والواحدة شَعْرة وشَعَرة.

ورجلٌ أَشْعَرُ: طويل شَعْر (شَعَر) الرّأس والجسد.

والشَّعار: الشَّجر...

ومما يقرب من هذا الشَّعير، وهو معروف.

فأمَّا الشعيرة: الحديدة التي تُجعَل مِسَاكاً لنصل السّكِّين إذا رُكّب ، فإنّما هو مشبَّه بحبّة الشَّعير.

والشَّعارير: صِغار القِثَّاء.

والشعيرة: واحدة الشَّعائر، وهي أعلامُ الحجّ وأعمالُه».

- مفاتيح العلوم: (تحقيق: الأبياري، ص ١٨٤، « ص ١٥٣ »): «الشَّعيرة في الجفن: ورم مستطيل». =

فالاصطلاح الطِّبِّيُّ (الشَّعِيرة) وُلِدَ في عصر الترجمة ولم تكن كلمةُ (الشَّعيرةِ) لتحمل هذه الدلالة قبل ذلك أمَّا الاصطلاح الطِّبِّيُّ (البَرَدة) فقد ولِدَ في العصر نفسه لكنَّه لم يكن موجوداً في اللُّغة قبل ذلك وإنَّما اقتصر وجوده في اللُّغة على جذره الثلاثي.

إنَّ معرفة تاريخ الطِّبِّ العربيِّ ضروريةٌ لمعرفة تاريخ ظهور الاصطلاح الطِّبِّيِّ وبالتالي للمساهمة في كتابة (المعجم التاريخيّ للاصطلاحات) في اللُّغة العربيَّة.

لقد ظَنَّ الباحثون في تاريخ الطِّبِّ العربيِّ، الذين اهتموا بالاصطلاح الطِّبِّيّ وبتأثير الإغريق في العرب في هذا المجال، لقد ظنُّوا أنَّ هذه العملية تمَّتْ في عصر حنين بن إسحاق لكنَّهم لم يدخلوا في التفصيلات، فبعضُ الاصطلاحات وضعها حنين في ذروة عصر الترجمة أي في منتصف القرن التاسع الميلاديّ (الثالث الهجريّ). ويهمُّنا هنا أنَّ بعض هذه الاصطلاحات ظهرت قبل عصر حنين وأنَّ بعضها يعود زمنُ ظهورِهِ إلى بداية القرن الثامن وهذا ما سنأتي على تفصيله مساهمةً منا في وضع (المعجم التاريخيّ للاصطلاحات الطِّبِّيَّة).

وفي هذه العملية سنعطي الحقَّ لأصحابه وسنبرز دور بعض الأطبَّاء والتراجمة في تاريخ الطِّبِّ العربيِّ وفي تاريخ المعجم العربيِّ.

* * *

نمتلك بعضَ الوثائق التي تشير إلى أنَّ الأطبَّاءَ العربَ وصفوا الأمراضَ وصفاً سريريًّا جيّداً منذ أوائل القرن الثامن الميلاديّ (القرن الثاني الهجريّ)،

= توفي الخوارزمي صاحب (مفاتيح العلوم) عام (٩٩٧ م=٣٨٧هـ).

- دوزي Dozy: التكملة: (٦/ ٣١٨ - ٣١٩): «شعير: وجمعه شعيرات: القمـوح والشعيرات والحبوب

الشعير: شكل من أشكال قلائد النساء.

شعيرة: داء الشعيرة وهي باللاتينية Ordeolus وهو ورم في الجفن يشبه حبة الشعير (محيط المحيط وابن العوام) ينظر المعجم اللاتيني مادة Ordeolus ».

لكنَّ جُلَّ المادَّةِ التي كتبوها تُعَدُّ في حكم المفقودة - مع الأسف - ولم يصلْ إلى عصرنا منها إلَّا النَّزْرُ اليسير.

ونقصد بذلك تلكَ المادَّةَ التي وصلت بعضُ مقتبساتٍ منها إلى أيامنا، وهي المقتبساتُ المنسوبةُ إلى (ماسرجويه البصريّ)(٢٦) (من أهل النِّصف الثاني من القرن السابع الميلاديّ) وإلى عددٍ من المؤلِّفين غيره عاشوا بعده ولحق بعضُهم القرنَ التاسعَ الميلاديّ.

أقدم هذه الكتابات إذنْ تعود بالتأكيد إلى مطلع القرن الثامن الميلاديّ وبعضُها يعود زمنُهُ إلى أواخر هذا القرن.

هذا عن المادَّة الضَّائعة التي لم يصل إلينا منها إلَّا الاقتباسات.

أمَّا المادَّة العلميَّة التي وصلت إلى عصرنا مكتملةً فهي كتابٌ واحدٌ فقط ألَّفهُ عيسى بن حكم المشهورُ بمسيح الدِّمشقيّ(٢٧) وقدَّمَه إلى الخليفة هارون الرَّشيد(٢٨)، فالكتابُ ظهر إذنْ قبل عام (٨٠٩م = ١٩٣هـ) عام وفاة الرَّشيد.

---

(٢٦) عاش ماسرجويه في البصرة أيامَ الدولة المروانيَّة. وقد امتدَّ حكم هذه الأسرة من الأمويين من عام (٦٨٤م = ٦٤هـ) - حين وصل (مروان بن الحكم) إلى سُدَّة الخلافة في دمشق - إلى عام (٧٥٠م = ١٣٢هـ) - حين انتهى حكم (مروان بن محمَّد) آخر خلفاء بني أميَّة.

ولا نعرف متى عاش ماسرجويه هذا على وجه الدِّقَّة، إلَّا أنَّ أعماله الطِّبِّيَّة كانت موجودةً في (خزائن كتب الخلافة) يوم جاء (عمر بن عبد العزيز) إلى الحكم عام (٧١٧م = ٩٩هـ).

هذا يعني أنَّ هذه الأعمال تعود إلى أوائل القرن الثامن الميلاديّ على أبعد حدّ، ذلك أنَّ الكتاب كان موجوداً في خزانة الخلافة قبل عام (٧١٧م)، وقد يعود عهد بعضها إلى القرن السابع الميلاديّ.

يُنظر: عيون الأنباء: (١/ ١٠٩-١٦٣). سزكين: (٣/ ٢٠٦).

(٢٧) اسم الكتاب هو (الرِّسالة الكافية في الطِّبِّ)، وقد اشتهر باسم (الرِّسالة الكافية الهارونيَّة).

يُنظر: مقالة: لقىً جديدة من كنز التراث العربيّ: (ص ٨). مكتبة الكَحَّال في عصر الرازي: (ص ٣٠).

(٢٨) حكم الرشيد بين: (٧٨٦-٨٠٩م = ١٧٠-١٩٣هـ).

وأمَّا المقتبسات وهي موجودةٌ أساسًا في كتاب (الحاوي في الطِّبِّ)(٢٩) الذي كتبَه الرازي(٣٠)، في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الميلاديين.

أهميةُ ما كتبه عيسى بن حكم تكمن في أنَّه وصل كاملاً إلى عصرنا. وأهميةُ ما كتبه ماسرجويه البصريّ هي أنَّه أقدم ما كُتِبَ بالعربيَّة في حقل الطِّبِّ، سواءً ما نقله ماسرجويه من الإغريقيَّة، أو ما ألَّفهُ بنفسه.

وفي الحقيقة فإنَّ المقتبسات المذكورة لا ينحصر وجودُها في كتاب (الحاوي) وإنَّما توجد في كتبٍ أخرى كثيرةٍ، ولكنْ بحجمٍ أقلّ. وأشهرُ هذه الكتب كتابُ البِيروني(٣١) (الصَّيْدَنة في الطِّبِّ)، وهو كتابٌ في الأدوية وعلوم الصَّيدلة الأخرى، وكتابُ ابن البَيْطار(٣٢) (الجامع لمفردات الأدوية

(٢٩) وهو مجموعة مقتبساتٍ اختارها الرازي على مدى زمنٍ طويلٍ وأخذها من كُلِّ المؤلِّفين الذين عاشوا قبله، وقَصْدُهُ من جَمْعِها أنْ تكون مادَّةً أوليةً لتَأْليف كتابٍ شامل في الطِّبِّ سمَّاه الرازي (الجامع الكبير). وقد توفي الرازي بعد أنْ ظهرَ من هذا الكتاب اثنا عشر جزءاً يعدِّدُ عناوينَها ابنُ أبي أصيبعة.

للتوسع: يُنظر: تاريخ أطبَّاء العيون العرب: (٣/ ٨٣-٩٦).

(٣٠) توفي الرازي نحو عام (٩٢٥م = ٣١٣هـ) وقد جمع تلامذتُه الأوراقَ التي كتبها الرازي وصنَّفوها في كتابٍ سمُّوه (الحاوي في الطِّبِّ). طبع (الحاوي) في حيدر آباد الدكن (الهند) باعتناء (دائرة المعارف العثمانيَّة). ويقع في ثلاثة وعشرين جزءاً.

يُنظر: سزكين: (٣/ ٢٧٤).

(٣١) توفي البِيروني عام (١٠٤٨م = ٤٤٠هـ) وقضى جزءاً كبيراً من حياته في الهند وكتب عن تاريخها وثقافتها. ويرى ساخاو (Sachau) أنَّ البِيروني يمثِّل أعظمَ عقليةٍ أنجبها التاريخ.

(٣٢) توفي ابن البَيْطار عام (١٢٤٨م = ٦٤٦هـ)، ولد قرب (مالَقة) في الأندلس ولذلك يُنْسَبُ إليها فيقال (المالقيّ). زار شمال إفريقية وكثيراً من بلدان حوض البحر المتوسط (وبلاد الرُّوم) دارساً الأعشاب الطِّبِّيَّة في مواطنها البرّية الأصيلة ثمَّ استقرَّ في مصر لكنَّه توفي في دمشق. وسبب تنقله الواسع هو رغبته في التَّعرَّف على النباتات الطِّبِّيَّة في مواطنها البرّية الأصليَّة وهذا ما كان يسمَّى في ذلك الزمن (الرحلة النَّباتيَّة) وأشهر من قام بمثل هذه الرحلة هو أستاذه أبو العبَّاس النباتي المشهور بابن الرُّوميَّة المتوفى سنة (١٢٣٩م = ٦٣٧هـ).

والأغذية)، وهو كتابٌ في الأدوية البسيطة والمركَّبة.

ولا ندري على وجه الدِّقَّة متى عاش عيسى بن حكم إلَّا أنَّ جدَّهُ المشهورُ باسم (أبي الحكم) عاش في عصر معاوية(٣٣) وقد لحقَ مسيحُ هذا أيامَ الرَّشيد، أيّ إنَّه توفي بعد عام (٧٨٦م = ١٧٠هـ) يومَ وصلَ الرَّشيدُ إلى سُدَّةِ الخلافة، ومن المحتمل أنْ يكون عيسى بن حكم قد عُمِّرَ - كوالدِهِ - وعاش إلى ما بعد هذا التاريخ(٣٤).

ولأنَّ (الرِّسالةَ الهارونيَّة) - كتابُ عيسى بن حكم - وصلت كاملةً فإنَّه ينبغي علينا أنْ نجعلَ منها الحقلَ الأوَّل لدراسة الاصطلاحات الطِّبِّيَّة في ذلك الزَّمن(٣٥).

أمَّا المقتبساتُ المتناثرةُ في أجزاءِ (الحاوي) العديدة، والتي كُتِبَ بعضُها قبل أكثر من نصف قرنٍ من تاريخ كتابة (الرِّسالة الهارونيَّة) فهي إذا جُمِعَتْ كُلُّها تظَلُّ أصغرَ حجماً من هذه الرِّسالة، لكنَّها أكبرُ قيمةً بسبب قِدَمِها(٣٦)، وكذلك فإنَّ نُدْرَتَها وضَآلَةَ حجمِها تجعل منها مادَّةً ثمينةً للبحث العلميِّ من وجهة نظر **الاصطلاحات الطِّبِّيَّة الأقدم ظهوراً**، ومن هنا فهي مُهمَّةٌ أيضاً للباحثين الذين يدرسون في حقل (المعجم التاريخيِّ للغة العربيَّة).

القرن التاسع:

هذا ما كان حول الاصطلاحات التي دُوِّنَتْ في القرن الثامن الهجريّ

(٣٣) حكم معاوية بين (٦٦١-٦٨٠م = ٤١-٦٠هـ).

(٣٤) يقال إنَّ (الحَكَم) والد عيسى بن الحكم كان مُعمَّراً عاش أكثر من مئة عام.
يُنظر: عيون الأنباء: (١/ ١١٩).

(٣٥) السنوات الأخيرة من القرن الثامن الميلاديّ.

(٣٦) تعود إلى أوائل القرن الثامن الميلاديّ (عصر ماسرجويه)، وبين عصر ماسرجويه وعصر عيسى بن حكم ما يزيد على نصف قرن ويقرب من قرنٍ كامل.

والتي يمتدُّ تاريخُ تدوينها على طول امتداد هذا القرن من بدايته أيام ماسرجويه البصريّ وحتى نهايته أيام مسيح الدِّمشقيّ.

ولحسن الحظ فقد وصلت إلى عصرنا كتاباتٌ عديدةٌ يعود عَهْدُها إلى القرن التاسع الميلاديّ (القرن الثالث الهجريّ)، وهذه الكتابات - بسبب اكتمالها واتِّساعها - كانت موضعَ دراسةٍ من قبلِ عددٍ من المشتغلين في حقل تاريخ الطِّبِّ العربيِّ، وأمكن معرفةُ الكثير عنها.

وأهمُّ هذه الكتابات على الإطلاق - وفي حقل طِبِّ العيون بخاصَّةٍ - هي تلك التي كتبها حنين بن إسحاق (المتوفى عام ٨٧٣م = ٢٦٠هـ). ولم يقتصر نشاط حنين - كما هو معروف - على العمل في حقل طِبِّ العيون بل كان له إنتاجٌ غزيرٌ ومُهمٌّ جدًّا في الطِّبِّ العامِّ[٣٧]، ممَّا جعله - بجدارةٍ - أولَ مؤسِّسي صرحِ الطِّبِّ العربيِّ وأحدَ أهمِّ أعلامِ عصر الترجمة.

وقد تناولت هذه الدِّراسات[٣٨] التي أُجريت على كُتُبِ حنين موضوعاتٍ عديدةً يهمنا منها هنا ما يلي:

أولاً: المصدرُ الإغريقيُّ الذي أخذ عنه حنين.

ثانياً: مدى فهم المؤلِّف - المترجم - للمادَّة العلميَّة، ومقدرتُهُ على

---

(٣٧) كتب حنين كتاباً بعنوان (المسائل في الطِّبِّ للمتعلمين) أو(المدخل إلى الطِّبِّ) ويعدُّ هذا الكتابُ تلخيصاً واضحاً للنظرية الطِّبِّيَّة التي أخذها العرب عن الإغريق، وصار أساساً لدراسة الطِّبِّ عند الطلبة العرب.

يُنظر: سزكين: (٣/ ٢٤٩).

(٣٨) نَخُصُّ بالذكر هنا الدراسات التي قام بها مايرهوف (Meyerhof) وأثبت فيها أنَّ كتابَ حنين في العين (العشر مقالات في العين) كتابٌ أُلِّفَ على الطريقة العلميَّة. وعرف مايرهوف أنَّ مصدر هذا الكتاب إنَّما هو المادَّة العلميَّة النظرية التي جاءت متفرقةً في عددٍ كبيرٍ من مؤلَّفات جالينوس.

يُنظر: العشر مقالات: مقدِّمة مايرهوف.

جمعها وتبويبها وإعادة تصنيفها وإخراجها.

ثالثاً: موهبة المؤلِّف - المترجم - في العثور على الاصطلاحات الفنيَّة المناسبة لترجمة المعاني التي تحملها الاصطلاحات العلميَّة الإغريقيَّة.

رابعاً: أسلوبُ المؤلِّف في عَرْضِ المادَّة العلميَّة ومهارتُهُ في التأليف وبلاغتُهُ في التعبير.

بين القرن الثامن والقرن التاسع:

بسبب صغر حجم هذه المُقتبسات التي أشرنا إليها فإنَّ دراستها لا تسمح بالوصول إلى القدر الكافي من المعرفة كي نتمكنَ من الحكم عليها من حيث شمولها أو من حيث أهمية المادَّة العلميَّة التي تحتوي عليها.

الفرق كبيرٌ إذنْ من حيث قدرتُنا على دراسة ما كتبه العرب في القرن التاسع وما كتبوه قبله.

لكنَّ المادَّة التي كتبت في القرن الثامن وإنْ لم يكن لها هذه الأهمية من وجهة نظر مؤرِّخ الطِّبِّ، فإنَّ لها أهميةً كبرى من وجهة نظر **الباحث اللُّغويِّ** الذي يُعْنَى **بتاريخ ظهور الاصطلاحات العلميَّة في اللُّغة العربيَّة**، ذلك أنَّها ظهرت قبل عصر حنين بن إسحاق أيّ قبل ذروة عصر ازدهار الترجمة من الإغريقيَّة إلى العربيَّة.

ماسرجويه البصريّ:

يحكي لنا ابن جُلجل(٣٩) كيف ترجم ماسرجويه البصريُّ كُنَّاشَ أهْرُن القِسّ إلى العربيَّة، وكيف ظَلَّت هذه الترجمة محفوظةً في خزانة الخلافة في دمشق إلى أنْ أخرجَها الخليفةُ عمر بن عبد العزيز(٤٠) للناس.

---

(٣٩) يُنظر: طبقات الأطبَّاء: بتحقيق فؤاد سيّد: (ص ٦١).

(٤٠) تولى الخلافة بين عامي: (٧١٧-٧١٩م = ٩٩-١٠١هـ).

وأهرن القِسّ[٤١] هو أحد أطبَّاء الإسكندرية، ويُنْسَبُ إليها فيقال أهرن القِسّ الإسكندريّ، وقد عاش في القرن السَّادس الميلاديّ، وفي القرن نفسه قام (جوسيوس)[٤٢] بترجمة كُنَّاش أهرن من اليونانيَّة إلى السُّريانيَّة، وهذا ما مكَّنَ ماسرجويه البصريَّ من ترجمة هذا الكُنَّاش من السُّريانيَّة إلى العربيَّة[٤٣].

يقع تراث ماسرجويه البَصريِّ في حقلين اثنين:

أولهما: الترجمة التي قام بها ماسرجويه – من السُّريانيَّة إلى العربيَّة – لكتاب أهرن القِسّ الإسكندريّ، وقد اشتهر هذا الكتاب باسم (كُنَّاش أهرن)[٤٤].

---

(٤١) حول أهرن: يُنظر: سزكين: (٣/ ١٦٦). تاريخ أطبَّاء العيون العرب: (٢/ ٣٨).

(٤٢) جوسيوس (gosios) هذا هو غير جيسيوس (gesios) الذي من بترا (Petra). والمُسَمَّى جيسيوس الإسكندراني.

وجيسيوس الإسكندراني هو أحد العلماء الذين شرحوا جالينوس وعلَّقوا على كتبه، ويعتقد أنَّه ساهم في إنجاز الملخصات الإسكندرانية الشهيرة التي سمَّاها العرب (جوامع الإسكندرانيين). ويرجَّح أنَّه عاش حوالي عام (٥٠٠ م) ويسمِّيه ابن النديم: جاسيوس: الفهرست: (ص ٢٩٢). وقد ذكره القفطي وابن أبي أصيبعة.

ينظر: سزكين: (٣/ ١٦٠). ديترش: (ص ٢٢٣).

أما جوسيوس فقد ذكره بدج (Budge) نقلاً عن ابن العبري، وذلك حينما كتب عن التراث الطِّبِّيِّ السُّريانيّ.

يُنظر: سزكين: (٣/ ١٦٦).

(٤٣) وليس من الإغريقيَّة إلى العربيَّة كما ظَنَّ البعض.

(٤٤) الكُنَّاش: هو الكتاب المختصر، وهو هنا مختصر في الطِّبِّ يُعْنى بالطِّبِّ السَّريريّ أيّ بعلم الأعراض والعلامات وعلم التشخيص التفريقي وعلم المداواة والمعالجات الأخرى بشكلٍ عام دون أنْ يتطرقَ إلى العلوم الطِّبِّيَّة النظرية كعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلم المرضيات (الإمراض).

والغرض من تأليف الكُنَّاش أنْ يكون مرجعاً سريعاً يلجأ إليه الطبيب في الممارسة اليومية، ويغنيه عن العودة إلى الكتب الموسعة. ولفظة كُنَّاش أصلها سُريانيّ. أمَّا تقليد كتابة الكُنَّاش فإنَّه يعود إلى أيام الإغريق.

يُنظر: تاريخ أطبَّاء العيون العرب: (٢/ ٣٨).

وثانيهما: ما أَلَّفه ماسرجويه بنفسه بمثابة ملحقٍ لكُنَّاش أَهْرُن.

فماسرجويه إذنْ هو أقدمُ المترجمين العرب في حقل الطِّبِّ، وهو في الوقت عينِهِ أقدمُ المؤلِّفين في هذا الحقل(٤٥).

يقع كُنَّاش أهرن في ثلاثين مقالةً، أمَّا الملحق الذي أَلَّفه ماسرجويه فيقع في مقالتين.

نَسَبَ الرازيُّ المقتبسات المأخوذة من هذا الكُنَّاش إلى صاحبها (قال أهرن)، أمَّا ما أَلَّفه ماسرجويهُ البصريُّ وأضافَهُ إلى كُنَّاش أهرن فقد نسبه إلى ماسرجويه نفسه مستعملاً عبارة (قال اليهوديُّ)، ذلك أنَّ ماسرجويه كان يهوديَّ الديانة سُريانيَّ الثقافة، وقد قصد الرازي من وراء ذلك التعبير التفريقَ بين ماسرجويه هذا وبين مؤلِّفٍ آخر يحمل الاسم نفسه لكنَّه كان مسيحيًّا، من أهل جُنْدِيسَابور، والمؤلِّفان كلاهما اشتهرا أيضاً باسم (ماسرجيس) عند كثيرٍ من أصحاب كُتب التراجم، لكنَّ المؤرِّخين المعاصرين يسمُّون (ماسرجويه البصريّ) باسم (ماسرجويه) و(ماسرجويه الجُنْديسابوري) باسم (ماسرجيس)، وفي الواقع فإنَّ عدداً من المؤلِّفين والباحثين لا يلتزمون بهذه الصيغة التي استُعْمِلَت للتفريق بين الرجلين ولذلك فإنَّ ثمَّةَ خلطاً بين المؤلِّفين(٤٦) وقد بيَّنت الدراسات الحديثة تبيانًا قاطعاً الفرق بينهما فماسرجويه (اليهوديّ البصريّ) عاش في العصر الأمويّ أمَّا الثاني (ماسرجيس) (المسيحيّ الجُنْديسابوري) فقد عاش في العصر العبَّاسيّ وكان من أصدقاء الشاعر أبي نواس.

للبحث صلة

---

(٤٥) يُنظر: تاريخ أطبَّاء العيون العرب: (٢/ ٤٠).

(٤٦) ولذلك فإنَّنا ننسب كُلَّ واحدٍ منهما إلى بلده لكي لا نخلط بينهما فنقول: ماسرجويه البصري (اليهودي) و(ماسرجويه الجنديسابوري).